**المقامة المضيرية (بالنص والصوت وشرح المفردات). مضبوطةً بالشكل**

**-----------------------------------
استمع لقراءة النص هنا (بصوت: الدكتور عبد الرحمن الحميّن)**[**https://www.youtube.com/watch?v=mR6Tg13VPNY**](https://www.youtube.com/watch?v=mR6Tg13VPNY)

**المقامة المضيرية
لبديع الزمان الهمّذاني**

|  |
| --- |
| **حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قَالَ: كُنْتُ بِالبَصْرَةِ، وَمَعِي أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ؛ رَجُلُ الفَصَاحَةِ، يَدْعُوهَا فَتُجِيبُهُ، وَالبَلاغَةِ، يَأَمُرُهَا فَتُطِيعُهُ، وَحَضَرْنَا مَعْهُ دَعْوَةَ بَعْضِ التُّجَّارِ، فَقُدِّمَتْ إِلَيْنَا مَضِيرَةٌ، تُثْنِي على الحَضَارَةِ، وَتَتَرَجْرَجُ في الغَضَارَةِ، وَتُؤْذِنُ بِالسَّلاَمَةِ، وَتَشْهَدُ لِمَعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ بِالإِمَامَة(29)، فِي قَصْعَةٍ يَزِلُّ عَنْهَا الطَّرْفُ، وَيَمُوجُ فِيهَا الظَّرْفُ(30)، فَلَمَّا أَخَذَتْ مِنَ الخوانِ مَكانَهَا، وَمِنَ القُلُوبِ أَوْطَانَهَا، قَامَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ يَلْعَنُهَا وَصَاحِبَهَا، وَيَمْقُتُهَا وَآكِلَهَا، وَيَثْلِبُهَا وَطَابِخَهَا، وَظَنَنَّاهُ يَمْزَحُ فَإِذَا الأَمْرُ بِالضِّدِّ، وَإِذَا المِزَاحُ عَيْنُ الجِدِّ، وَتَنَحَى عَنِ اُلْخوَانِ، وَتَرَكَ مُسَاعَدَةَ الإِخْوَانِ(31)، وَرَفَعْنَاهَا فَارْتَفَعَتْ مَعَهَا القُلُوبُ، وَسَافَرَتْ خَلْفَهَا العُيُونُ، وَتَحَلَّبَتْ لَهَا الأَفْوَاهُ، وَتَلَمَّظَتْ لَهَا الشِّفَاهُ، وَاتَّقَدَتْ لَهَا الأَكْبَادُ، وَمَضَى فِي إِثْرِهَا الفُؤَادُ(32)، وَلكِنَّا سَاعَدْنَاهُ على هَجْرِهَا، وَسَأَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِهَا. فَقَالَ:** **قِصَّتِي مَعَهَا أَطْوَلُ مِنْ مُصِيبَتي فِيهَا، وَلَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِهَا لَمْ آمَنِ المَقْتَ(33)، وَإِضَاعَةَ الوَقْتِ، قُلْنَا: هَاتِ: قَالَ: دَعَاني بَعْضُ التُّجَّارِ إِلَى مَضِيرَةٍ وَأَنَا بِبَغْدَادَ، وَلَزِمَنِي مُلاَزَمَةَ الغَريمِ، وَالكَلْبِ لأَصْحَابِ الرَّقِيمِ(34)، إِلَى أَنْ أَجَبْتُهُ إِلَيْهَا، وَقُمْنَا فَجَعَلَ طُولَ الطَّرِيقِ يُثَنِي عَلَي زَوْجَتِهِ، وَيُفَدِّيهَا بِمُهْجَتِهَ، وَيَصِفُ حِذْقَهَا فِي صَنْعَتِهَا، وَتَأَنُّقَهَا فِي طَبْخِهَا، وَيَقُولُ: يَا مَولاْيَ، لَوْ رَأَيْتَهَا، وَالخَرْقَةُ(35) فِي وَسَطِهَا، وَهْيَ تَدُورُ فِي الدُّورِ، مِنَ التَّنُّورِ إِلَى القُدُورِ، وَمِنَ القُدُورِ إِلَى التَّنُّورِ، تَنْفُثُ بفِيهَا النَّارَ، وَتَدُقُّ بِيَدَيْهَا الأَبْزَارَ، وَلَوْ رَأَيْتَ الدُّخَانَ وَقَدْ غَبَّرَ فِي ذَلِكَ الوَجْهِ الجَمِيلِ، وَأَثَّرَ فِي ذَلِكَ الخَدِّ الصَّقِيلِ، لَرَأَيْتَ مَنْظَراً تَحارُ فِيهِ العيُوُنُ. وَأَنَا أَعْشَقُهَا لأَنَّهَا تَعْشَقُنِي، وَمِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ أَنْ يُرْزَقَ المُسَاعَدَةَ مِنْ حَلِيلَتِهِ، وَأَنْ يَسْعَدَ بِظَعِينَتِهِ، وَلاَ سِيَمَّا إِذَا كانَتْ مِنْ طِينَتِهِ، وَهْيَ ابْنَةُ عَمِّي لَّحَا، طِينَتُها طِيِنَتِي، وَمَدِينَتُهَا مَدِينَتي، وَعُمُومَتُهَا عُمُومَتِي، وَأَرُومَتَها أَرُومَتي(36)، لَكِنَّها أَوْسَعُ مِنِّي خُلْقاً، وَأَحْسَنُ خَلْقاً.** **وَصَدَّعَنِي(37) بِصِفَاتِ زَوْجَتِهِ، حَتَّى انْتَهَينَا إِلَى مَحَلَّتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَوْلاي تَرَى هَذِهِ المَحَلَّةَ؟ هِيَ أَشْرَفُ مَحَالِّ بَغْدَادَ، يَتَنَافَسُ الأَخْيَارُ في نُزُولِها، وَيَتَغايَرُ(38) الكِبَارُ فِي حُلُولِهَا، ثُمَّ لاَ يَسْكُنُهَا غَيْرُ التُّجَّارِ، وَإِنَّمَا المَرْءُ بِالْجَارِ، وَدَارِى فِي السِّطَةِ مِنْ قِلادَتِهَا، وَالنُّقْطَةِ من دَائِرتَهَا(39)، كَمْ تُقَدِّرُ يَا مَوْلايَ أُنْفِقَ عَلى كُلِّ دَارٍ مِنْهَا؟ قُلْهُ تَخْمِيناً إِنْ لَمْ تَعْرِفُهُ يَقِيناً، قُلْتُ: الكَثِيرُ. فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! مَا أَكْبَرَ هَذا الغَلَطَ! تَقُولُ الكَثِيرَ فَقَطْ؟ وَتَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ(40)، وَقَالَ: سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ الأَشْيَاءَ!** **وَانْتَهَيْنَا إِلَى بَابِ دَارِهِ. فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي، كَمْ تُقَدِّرُ يَا مَوْلايَ أَنْفَقْتُ على هذِهِ الطَّاقَةِ(41)؟ أَنْفَقْتُ، واللهِ، عَلَيْهَا فَوْقَ الطَّاقَةِ، وَوَرَاءَ الفَاقَةِ. كَيْفَ ترى صَنْعَتَهَا وَشَكْلَهَا؟ أَرَأَيْتَ باللهِ مِثْلَهَا؟ انْظُرْ إِلَى دَقَائِقِ الصَّنْعَةِ فِيهَا، وَتَأَمَّلْ حُسْنَ تَعْرِيجَهَا، فَكَأَنَّمَا خُطَّ بِالبِرْكارِ(42)! وَانْظُرْ إِلى حِذْقِ النَّجَّارِ، فِي صَنْعَةِ هذَا البَابِ، اتَخَذَهُ مِنْ كَمْ؟ قُلْ: وَمِنْ أَيْنَ أَعْلَمُ؟ هُوَ سَاجٌ مِنْ قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ لاَ مَأْرُوضٌ وَلا عَفِنٌ، إِذَا حُرِّكَ أَنَّ، وَإِذَا نُقِرَ طَنَّ(43)، مَنِ اتَّخَذَهُ يا سَيِّدِي؟ اتَّخَذَهُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ مَحَمَّدٍ البَصْريُّ، وَهْوَ، واللهِ، رَجُلٌ نَظِيفُ الأَثْوَابِ، بَصِيرٌ بِصَنْعِة الأَبْوَابِ، خَفِيفُ اليَدِ فِي العَمَلِ، للهِ دَرُّ ذَلِكَ الرَّجُلِ! بِحَياتِي، لا اسْتَعَنْتَ إِلا بِهِ عَلى مِثْلِهِ(44)، وَهَذِهِ الحَلَقَةُ، تَرَاهَا؟ اشْتَرَيْتُهَا فِي سُوقِ الطَّرَائِفِ مِنْ عِمْرَانَ الطَّرَائِفِيِّ بِثَلاثَةِ دَنَانِيرَ مُعِزِّيَّة، وَكَمْ فِيهَا يَا سَيِّدِي مِنَ الشَّبَهِ(45)؟ فِيهَا سِتَّةُ أَرْطَالٍ، وَهْيَ تَدُورُ بِلَوْلَبٍ فِي البَابِ، بِاللهِ دَوِّرْهَا، ثُمَّ انْقُرْهَا وَأْبْصُرْهَا، وَبِحَياتِي عَلَيْكَ، لا اشْتَرَيْتَ الحَلَقَ إِلاَّ مِنْهُ؛ فَلَيْسَ يَبِيعُ إِلاَّ الأَعْلاَقَ(46).** **ثُمَّ قَرَعَ البَابَ، وَدَخَلْنَا الدِّهْلِيزَ، وَقَالَ: عَمَّرَكِ اللهُ يَا دَارُ، وَلاَ خَرَّبَكَ يَا جِدَارُ، فَمَا أَمْتَنَ حِيطَانَكِ، وَأَوْثَقَ بُنْيَانَكِ، وَأَقْوى أَسَاسَكِ! تَأَمَّلْ بِاللهِ مَعَارِجَهَا، وَتَبَيَّنْ دَواخِلَهَا وَخَوارِجَهَا، وَسَلْني: كَيْفَ حَصَّلْتَهَا؟ وَكَمْ مِنْ حِيلَةٍ احْتَلْتَهَا، حَتَّى عَقَدْتَهَا(47)؟ كانَ لِي جَارٌ يُكْنى أَبَا سُلَيْمَانَ، يَسْكُنُ هَذِهِ المَحَلَّةَ، وَلَهُ مِنَ المَالِ مَا لا يَسَعُهُ الخَزْنُ، وَمِنَ الصَّامِتِ مَا لاَ يَحْصُرُهُ الوَزْنُ، مَاتَ، رَحِمَهُ اللهُ، وَخَلَّفَ خَلْفاً أَتْلَفَهُ بَيْنَ الخَمْرِ وَالزَّمْرِ، وَمَزَّقَهُ بَيْنَ النَّرْدِ وَالقَمْرِ(48). وَأَشْفَقْتُ أَنْ يَسُوَقُه قَائِدُ الاضْطِرَارِ، إِلَى بَيْعِ الدَّارِ، فَيَبِيعَهَا فِي أَثْنَاءِ الضَّجَرِ(49)، أَوْ يَجْعَلَهَا عُرْضَةً لِلْخَطَرِ، ثُمَّ أَرَاها، وَقَدْ فَاتَنِي شِرَاهَا، فَأَتَقَطَّعُ عَلَيْهَا حَسَرَاتٍ، إِلَى يَوْمِ المَماتِ، فَعَمِدْتُ إِلَى أَثْوَابٍ لاَ تَنِضُّ تِجَارَتُهَا، فَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِ، وَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ، وَسَاوَمْتُهُ عَلَى أَنْ يَشْتَرِيهَا نَسِيَّةً، وَالمُدْبِرُ يَحْسَبُ النَّسِيَّةَ عَطِيَّةً، والمُتَخَلِّفُ يَعْتَدُّهَا هَديَّةً(50). وَسَأَلْتُهُ وَثِيقَةً بِأَصْلِ المَالِ، فَفَعَلَ، وَعَقَدَهَا لِي، ثُمَّ تَغَافَلْتُ عَنِ اقْتِضَائِهِ، حَتَّى كَادَتْ حَاشِيَةُ حَالِهِ تَرِقُّ، فَأَتَيْتُهُ فَاقْتَضَيْتُهُ، واسْتَمْهَلَنِي فَأَنْظَرْتُهُ(51)، وَالْتَمَسَ غَيْرَهَا مِنَ الثِيَّابِ فَأَحْضَرْتُهُ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَ دَارَهُ رَهِينَةً لَدَيَّ، وَوَثِيقَةً فِي يَدَيَّ، فَفَعَلَ، ثُمَّ دَرَّجْتُهُ بِالمُعَامَلاتِ إِلَى بَيْعِهَا حَتَّى حَصَلَتْ لِي بِجَدٍّ صَاعِدٍ، وَبَخْتٍ مُسَاعِدٍ، وَقُوَّة ِسَاعِدٍ، وَرُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ(52)! وَأَنَا بِحَمْدِ اللهِ مَجْدُودٌ، وَفي مِثْلِ هَذهِ الأَحْوَالِ مَحْمُودٌ، وَحَسْبُكَ(53) يَا مَوْلاَي أَنِّي كُنْتُ مُنْذُ لَيَالٍ ناَئِماً في البَيْتِ مَعَ مَنْ فَيِهِ؛ إِذْ قُرِعَ عَلَيْنَا البَابُ، فَقُلْتُ: مَنِ الطَّارِقُ المُنْتَابُ؟ فَإِذَا امْرَأَةٌ مَعَهَا عِقْدُ لآلٍ، فِي جِلْدَةِ مَاءٍ وَرِقَّةِ آلٍ، تَعْرِضُهُ لِلْبَيْعِ، فَأَخَذْتُهُ مِنْهَا إِخْذَةَ خَلْسٍ، وَاْشَتَريْتُهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ، وَسَيَكُونُ لَهُ نَفْعٌ ظَاهِرٌ، وَرِبْحٌ وَافِرٌ، بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى وَدَوْلَتِكَ(54). وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الحَدِيثِ لِتَعْلَمَ سَعَادَةَ جَدِّيَ فِي التِّجَارَةِ، وَالسَّعَادَةُ تُنْبِطُ(55) المَاءَ مِنَ الحِجَارَةِ، اللهُ أَكْبَرُ! لاَ يُنْبِئُكَ أَصْدَقُ مِنْ نَفْسِكَ، وَلاَ أَقْرَبُ مِنْ أَمْسِكَ، اشْتَرَيْتُ هَذا الحَصِيرَ فِي المُنَادَاتِ، وَقَدْ أُخْرِجَ مِنْ دُورِ آلِ الفُرَاتِ، وَقْتَ المُصَادَرَاتِ، وَزَمَنَ الغَارَاتِ(56). وَكُنْتُ أَطْلُبُ مِثْلُهُ مُنْذُ الزَّمَنِ الَأْطَوِل فَلا أَجِدُ، وَالدَّهْرُ حُبْلَى لَيْسَ يُدْرَى مَا يَلِدُ، ثُمَّ اتَّفَقَ أَنِّي حَضَرْتُ بَابَ الطَّاقِ(57)، وَهَذا يُعْرَضُ بِالأَسْوَاقِ، فَوَزَنْتُ فِيهِ كَذَا وَكَذَا دِينَاراً، تَأَمَّلْ بِاللهِ دِقَّتَهُ وَلِينَهُ، وَصَنْعَتَهُ وَلَوْنَهُ، فَهْوَ عَظِيمُ القَدْرِ، لا يَقَعُ مِثْلُهُ إِلاَّ فِي النَّدْرِ(58)! وَإِنْ كُنْتَ سَمِعْتَ بِأَبِي عِمْرَانَ الحَصِيريِّ فَهْوَ عَمَلُهُ، وَلَهُ ابْنٌ يَخْلُفُهُ الآنَ فِي حَانُوتِهِ لاَ يُوْجَدُ أعْلاَقُ الحُصُرِ إِلاَّ عِنْدَهُ؛ فَبِحَياتِي، لاَ اشْتَرَيْتَ الحُصُرَ إِلا مِنْ دُكَّانِهِ، فَالمُؤْمِنُ نَاصِحٌ لإِخْوانِهِ، لاَ سِيَّما مَنْ تَحَرَّمَ بِخُوَانِهِ(59).** **وَنَعُودُ إِلَى حَدِيثِ المَضِيرَةِ، فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الظَّهِيرَةِ، يَا غُلاَمُ الطَّسْتَ وَالمَاءَ، فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبَرُ! رُبَّمَا قَرُبَ الفَرَجُ، وَسَهُلَ المَخْرَجُ، وَتقَدَّمَ الغُلاَمُ، فَقَالَ: تَرى هذَا الغُلاَمَ؟ إِنَّهُ رُومِيُّ الأَصْلِ، عِرَاقِيُّ النَّشْءِ. تَقَدَّمْ يَا غُلاَمُ، وَاحْسِرْ عَنْ رَأْسِكَ، وَشَمِّرْ عَنْ سَاقِكَ، وانْضُ عَنْ ذِرَاعِكَ، وَافْتَرَّ عَنْ أَسْنَانِكَ، وَأَقْبِلْ وَأَدْبِرْ، فَفَعَلَ الغُلاَمُ ذَلِكَ. وَقَالَ: التَّاجِرُ: باللهِ مَنِ اشْتَرَاهُ(60)؟ اشْتَرَاهُ، وَاللهِ، أَبُو العَبَّاسِ، مِنَ النَّخَّاسِ، ضَعِ الطَّسْتَ، وَهَاتِ الإِبْريقَ، فَوَضَعَهُ الغُلاَمُ، وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ وَقَلَّبَهُ وَأَدَارَ فِيهِ النَّظَرَ ثُمَّ نَقَرَهُ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلى هَذَا الشَّبَهِ كَأَنَّهُ جِذْوَةُ اللَّهَبِ، أَوْ قِطْعَةٌ مِنَ الذَّهَبِ، شَبَهُ الشَّامِ، وَصَنْعَةُ العِراقِ، لِيْسَ مِنْ خُلْقَانِ الأَعْلاَقِ(61)! قَدْ عَرَفَ دُورَ المُلُوكِ ودَارَهَا! تَأَمَّلْ حُسْنَهُ! وَسَلْنِي مَتَى اشْتَرَيْتُهُ؟ اشْتَرَيْتُهُ، واللهِ، عَامَ المَجَاعَةِ، وَادَّخَرْتُهُ لِهَذِهِ السَّاعَةِ. يَا غُلاَمُ، الإِبْرِيقَ(62). فَقَدَّمَهُ، وَأَخَذُه التَّاجِرُ فَقَلَّبَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَأُنْبُوبُهُ مِنْهُ! لاَ يَصْلُحُ هَذا الإِبْرِيقُ إِلاَّ لِهَذا الطَّسْتَ، وَلاَ يَصْلِحُ هَذا الطَّسْتَ إِلاَّ مَعَ هَذَا الدَّسْتِ(64)، وَلاَ يَحْسُنُ هَذا الدَّسْتُ إِلاَّ فِي هَذا البَيْتِ، وَلاَ يَجْمُلُ هذَا البَيْتُ إِلاَ مَعَ هَذا الضَّيْفِ. أَرْسِلِ المَاءَ يَا غُلاَمُ، فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الطَّعَامِ، باللهِ تَرى هَذَا المَاءَ؟ مَا أَصْفَاهُ! أَزرَقُ كَعَيْنِ السِّنَّوْرِ، وَصَافٍ كَقَضِيبِ البِلَّوْرِ، اسْتُقِىَ مِنَ الفُرَاتِ، وَاسْتُعْمِلَ بَعْدَ البَيَاتِ، فَجَاءَ كَلِسَانِ الشَّمْعَةِ، فِي صَفَاءِ الدَّمْعَةِ، وَلَيْسَ الشَّانُ فِي السَّقَّاءِ، الشَّانُ فِي الإِنَاءِ(65)، لاَ يَدُلُّكَ عَلَى نَظَافَةِ أَسْبَابِهِ، أَصْدَقُ مِنْ نَظَافَةِ شَرَابِهِ.** **وَهذَا المِنْدِيلُ سَلْنِي عَنْ قِصَّتِهِ، فَهُوَ نَسْجُ جُرْجَانَ، وَعَملُ أَرَّجَانَ، وَقَعَ إِلَيَّ فَاشْتَرَيْتُهُ، فَاتَّخَذَتَ امْرَأَتِي بَعْضَهُ سَرَاوِيلاً(66)، وَاتَّخَذْتُ بَعْضَهُ مِنْدِيلاً، دَخَلَ فِي سَرَاوِيلهَا عِشْرُونَ ذِرَاعاً، وانْتَزَعْتُ مِنْ يَدِهَا هَذَا القْدَرَ انْتِزاعاً، وأَسْلَمْتُهُ إِلى المُطَرِّزِ حَتَّى صَنَعَهُ كَمَا تَرَاهُ وَطَرَّزَهُ، ثُمَّ رَدَدْتُهُ مِنَ السُّوقِ، وَخَزَنْتُهُ في الصُّنْدُوقِ، وَأَدَّخَرْتُهُ لِلْظِّرَافِ مِنْ الأَضْيَافِ، لَمْ تُذِلَّهُ عَرَبُ العَامَّةِ بِأَيْدِيهَا، وَلاَ النِّسَاءُ لِمَآقِيهَا، فَلِكُلِّ عِلْقٍ يَوْمٌ، وَلِكُلِّ آلَةٍ قَوْمٌ. يَاغُلاَمُ! الْخُوَانَ، فَقَدْ طَالَ الزَّمَانُ، وَالقِصَاعَ، فَقَدْ طَالَ المِصَاعُ(67)، والطَّعَامَ، فَقَدْ كَثْرَ الكَلامُ.** **فَأَتَى الغُلاَمُ بَالخُوَانِ، وَقَلَّبَهُ التَّاجِرُ عَلَى المَكانِ، وَنَقَرَهُ بِالبَنَانِ، وَعَجَمَهُ بِالأَسْنَانِ(68)، وَقَالَ: عَمَّرَ اللهُ بَغْدَادَ فَما أَجْوَدَ مَتَاعَهَا! وَأَظْرَفَ صُنَّاعَهَا! تَأَمَّلْ بِاللهِ هَذَا الخِوَانُ، وَانْظُرْ إِلَى عَرْضِ مَتْنِهِ(69)، وَخِفَّةِ وَزْنِهِ، وَصَلاَبَةَ عُودِهِ، وَحُسْنِ شَكْلِهِ! فَقُلْتُ: هَذا الشَّكْلُ، فَمَتى الأَكْلُ؟ فقَالَ: الآنَ، عَجِّلْ يَا غُلاَمُ الطَّعَامَ، لكِنَّ الخِوَانَ قَوَائِمُهُ مِنْهُ.** **قَالَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ: فَجَاشَتْ نَفْسِي، وَقُلْتُ: قَدْ بَقِيَ الخَبْزُ وآلاتُهُ، وَالخُبْزُ وَصِفاتُهُ، وَالحِنْطَةُ مِنْ أَيْنَ اشْتُرِيَتْ أَصْلاً؟ وَكَيْفَ اكْتَرَى لَهَا حَمْلاً؟ وَفِي أَيِّ رَحىً طَحَنَ؟ وَإِجَّانَةٍ عَجَنَ؟ وَأَيَّ تَنُّورٍ سَجَرَ(70)؟ وَخَبَّازٍ اسْتَأْجَرَ؟ وَبَقِيَ الحَطَبُ مِنْ أَيْنَ احْتُطِبَ؟ وَمَتَى جُلِبَ؟ وَكَيْفَ صُفِّفَ حَتَّى جُفِّفَ؟ وَحُبِسَ، حَتَّى يَبِسَ؟ وَبَقِيَ الخَبَّازُ وَوَصْفُهُ، وَالتِّلْمِيذُ وَنَعْتُهُ، وَالدَّقِيقُ وَمَدْحُهُ، وَالْخَمِيرُ وَشَرْحُهُ، وَالمِلْحُ ومَلاَحَتُهُ. وَبَقِيَتِ السُّكُرَّجاتُ(71) مَنِ اتَّخَذَها؟ وَكَيْفَ انْتَقَذَهَا؟ وَمَنِ اسْتَعْمَلَهاَ؟ وَمَنْ عَمِلَها؟ والخَلُّ كَيفَ انْتُقِى عِنَبُهُ؟ أَوْ اشْتُرِيَ رُطَبُهُ؟ وَكَيفَ صُهْرِجَتْ مِعْصَرَتُهُ؟ وَاسْتُخْلِصَ لُبُّهُ؟ وَكَيْفَ قُيِّرَ حَبُّهُ؟ وَكَمْ يُساوِي دَنُّهُ(72)؟ وَبَقِيَ البَقْلُ، كيفَ احْتِيلَ لَهُ حَتَّى قُطِفَ؟ وَفِي أَيِّ مَبْقَلَةٍ رُصِفَ؟ وَكَيْفَ تُؤُنِّقَ حَتَّى نُظِّفَ(73)؟ وَبَقيتِ المَضِيرَةُ كَيْفَ اشْتُرِيَ لَحْمُها، وَوُفِّيَ شَحْمُهَا، ونُصِبَتْ قِدْرُها، وَأَجِّجَتْ نَارُها، وَدُقَّتْ أَزَارُها حَتَّى أُجِيدَ طَبْخُها، وَعُقِدَ مَرَقُها؟ وَهذَا خَطْبٌ يَطُمُّ، وأَمْرٌ لا يَتِمُّ(74)!** **فَقُمْتُ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: حَاجَةً أَقْضِيها، فَقَالَ: يَامَوْلايَ تُرِيدُ كَنِيفاً يُزْري برَبِيِعيَّ الأَمِيرِ، وَخَريِفِيَّ الوَزِيرِ(75)، قَدْ جُصِّصَ(76) أَعْلاَهُ، وَصُهْرِجَ أَسْفَلُهُ، وَسُطِّحَ سَقْفُهُ، وَفُرِشَتْ بِالمَرْمَرِ أَرْضُهُ، يَزِلُّ عَنْ حائِطِهِ الذَّرُّ فَلاَ يَعْلَقُ، وَيَمْشِي عَلَى أَرْضُهُ الذُّبَابُ فَيَنْزَلِقُ، عَلَيْهِ بَابٌ غِيِرَانُهُ مِنْ خَلِيطيْ ساجٍ وَعَاجٍ، مُزْدَوجَينِ أَحْسَنَ ازْدِواجٍ(77)، يِتِمِنَّى الضَّيْفُ أَنْ يَأَكُلَ فِيهِ؟ فَقُلْتُ: كُلْ أَنْتَ مِنْ هَذا الجِرابِ، لَمْ يَكُنِ الكَنِيفُ فِي الحِسابِ!** **وَخَرَجْتُ نَحْوَ البَابِ، وَأَسْرَعْتُ فِي الذَّهَابِ، وَجَعَلْتُ أَعْدُو(78) وَهُوَ يَتْبَعُنِي وَيَصِيحُ: يَا أَبَا الفَتْحِ المَضِيرَةَ، وَظَنَّ الصِّبْيَانُ أَنَّ المَضِيرَةَ لَقَبٌ لِي فَصاحُوا صِياحَهُ، فَرَمَيْتُ أَحَدَهُمْ بِحَجَرٍ، مِنْ فَرْطِ الضَّجَرِ، فَلقِي رَجُلٌ الحَجَرَ بِعِمامَتِهِ، فَغَاصَ فِي هامَتِهِ(79). فَأُخِذْتُ مِنَ النَّعَالِ بِما قَدُمَ وَحَدُثُ، وَمِنَ الصَّفْعِ بِمَا طَابَ وَخَبُثَ، وَحُشِرْتُ إِلَى الحَبْسِ، فَأَقَمْتُ عامَينِ فِي ذلكَ النَّحْسِ(80). فَنَذرْتُ أَنْ لا آكلَ مَضِيرَةً ما عِشْتُ، فَهَلْ أَنَا فِي ذَا، يَالَهَمْدَانَ، ظَالمُ(81)؟.****قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقَبِلْنَا عُذْرَهُ، وَنَذَرْنَا نَذْرَهُ، وَقُلْنا: قَدِيماً جَنَتِ المَضِيرةُ عَلَى الأَحْرَارِ، وَقَدَّمَتِ الأَرَاذِلِ عَلى الأَخْيارِ.** |

**-------------------------------------------**

**معاني المفردات**

**29) المضيرة: لبن يطبخ بمرقة اللحم. تثني على الحضارة: فيها تأنق أهل الحضر. تترجرج: تهتز. الغضارة: سعة العيش، الترف-متقنة الصنع. تؤذن بالسلامة: ان الاسراف منها لا يضر الآكل لطيبها و إتقان صنعها و فائدتها. تشهد لمعاوية بالإمامة: لو طبخها معاوية لخصومه لشهدوا له بالإمامة (بالخلافة) .**

**30) قصعة: وعاء. يزل عنها الطرف: يزلق عنها البصر لملاستها و نقاوتها إذ لا يقع فيها على عيب أو سوء. يموج فيها الظرف: سكبت المضيرة في القصعة بذوق.**

**31) الخوان: منضدة الطعام. ثلب: ذم. تنحى: ابتعد. مساعدة الاخوان: موافقتهم.**

**32) تحلبت الأفواه: سال ريقها شوقا اليها. تلمظت الشفاه: تحركت كأنها تتذوق طعاما.**

**33) الكره و البغض.**

**34) الغريم: الدائن. لزمني: لحق بي و لم يفارقني. الرقيم: لوح من بلاط منقوش. و أصحاب الكهف و الرقيم بضعة أشخاص أنامهم اللّه في كهف ثلاثمائة و تسع سنوات ثم أيقظهم. و كان معهم كلب طول هذه المدة (راجع سورة الكهف الآية التاسعة و ما بعدها) .**

**35) الخرقة: قطعة نسيج تعقدها المرأة في وسطها في أثناء مكوثها في المطبخ لتدفع عن ثيابها رشاش الماء و الطعام. تدور: تعتني بغرف البيت الكثيرة. التنور: موقد يخبز فيه العجين. القدور جمع قدر: وعاء لطبخ الطعام. الابزار: جمع بزر كالصنوبر و كبش القرنفل و الكزبرة اليابسة و سواها مما يوضع في الطعام.**

**36) المساعدة: الموافقة. حليلته: زوجته. الظعينة: المرأة المسافرة في الهودج، يقصد امرأته أيضا. طينته: من مستواه الاجتماعي. ابنة عمي لحا: ابنة عمي اخي ابي مباشرة. الأرومة: الأصل.**

**37) أصابني بالصداع: أوجع رأسي، وهو كناية عن الضجر من تلك التفاصيل التي لا حاجة إليها.**

**38) يتغاير: يغار بعضهم من بعض.**

**39) السِّطَة: الوسط. القلادة: العقد - ويقصد في وسط المحلة أو الحيّ.**

**40) تنفس الصعداء: تنهد.**

**41) الحَنِيّة أو القَنطرة المعقودة فوق المدخل.**

**42) البركار: اداة ترسم بها الدائرة (بيكار/ فرجار/ برجل).**

**43) الساج: شجر كبير من شجر الهند. مأروض: أكلته الأرضة (بكسر الهمزة و فتح الراء) ، منخور. عفن، متهرئ بالرطوبة. أنّ: أحدث صوتا لثقله. نقر: ضرب باليد. طن: أحدث صوتا متسقا (ينفر الاناء حتى يعرف أ مكسور هو أم سليم) .**

**44) الدر: الحليب. للّه دره: ما أحسنه! لا استعنت إلا به على مثله: لا تصنع بابا إلا عنده. الحلقة: أداة معدنية تعلق في الباب ليقرع الباب بها. سوق الطرائف: السوق التي تباع فيها الأشياء النفيسة.**

**45) معزية: نسبة إلى معز الدولة بن بويه؛ و يظهر انها كانت دنانير راجحة. الشبه: النحاس الأصفر.**

**46) الرطل (بالفتح و الكسر) اربعمائة و ثمانون درهما (راجع القاموس المحيط ٣:٣٨۵) -نحو ١۵٣۶ غراما (راجع، فوق، ص ۶٠٠، الحاشية ۵: يبدو أن الاوزان كانت مختلفة المقادير في الاماكن المختلفة) . اللولب مسمار مخروط خرطا حلزونيا (برغي) . الاعلاق جمع علق (بالكسر) : الشيء النفيس.**

**47) الدهليز: ممر يفضي إلى الدار. المعارج جمع معرج: المرقى، المرقاة، السلم. عقد البيت: ملكه.**

**48) الصامت: المال من الذهب و الفضة. الخلف: الذرية، الأولاد. الزمر: سماع الغناء. النرد: لعبة الطاولة. القمر: الخسارة في القمار.**

**49) اشفق، خاف، خشي. الضجر: الضيق و اليأس من الفرج.**

**50) لا تنض تجارتها: (الملموح) لا تروج تجارتها، كاسدة. نسية: دينا. المدبر: المفتقر، الشقي، يظن ان النسية منحة. و المتخلف (المتأخر تجاريا) يظنها هدية. و عندي، المدبر (بضم الميم و فتح الدال و كسر الباء المشددة) : المفكر بعواقب الأمور، الداهية، إنه يعتبر ان ما أعطاه دينا كأنه منحه أو صدقه لا يهمه أ يرجع أم لا. و المتخلف يظن أنه هدية لأنه لن يدفع ثمنه نقدا.**

**51) وثيقة بأصل المال: سند بالدين. عقدها لي: تعهد لي فيها بالوفاء. الاقتضاء: المطالبة بالدين. رقت حاله: افتقر. أنظرته: أمهلته، اجلت الدين.**

**52) درجته بالمعاملات: جررته إلى البيع شيئا فشيئا. الجد و البخت: الحظ. ساعد: من اليد إلى المرفق؛ بقوة ساعد: بجهد و نشاط؛ رب ساع لقاعد مثل (فرائد اللآلي 1:246) : قد يكون انسان في بيته بينما هنالك آخر يسعى له في خير.**

**53) مجدود: محظوظ. حسبك: يكفيك.**

**54) المنتاب (في القاموس) : الذي يأتي مرة بعد مرة. (و هي في رأيي هنا) : المفاجئ. لآل: جمع لؤلؤ جمع لؤلؤة. جلدة ماء: صاف كأنه في غشاء من ماء. الآل: السراب؛ كناية عن الرقة و الصفاء أيضا. بدولتك: برعايتك.**

**55) يجعلها تنبع.**

**56) الحصير: السجادة. المناداة: البيع بالمزاد العلني. آل الفرات: أسرة و ليت الوزارة للعباسيين، نكبوا و صودرت أموالهم في أيام الخليفة المقتدر (ت ٣٢٠ ه‍) الغارات: النهب (الفرهود بعامية أهل بغداد) .**

**57) سوق ببغداد.**

**59) نادرا، قليلا جدا.**

**60) أكل عنده. . .**

**61) النشأة، المربى. حسر: كشف. نضا عن ذراعه: نزع ثوبه عن ذراعه. افتر عن أسنانه: ضحك. الضمير في اشتراه تعود على الغلام.**

**62) هو علق (بكسر العين) نفيس و ليس بخلق (بفتح اللام) قديم بل هو جديد أيضا.**

**63) مفعول به لفعل محذوف تقديره (هات) .**

**64) البيت؛ و في الأصل: المجلس الفخم، المنصب. يقال دست الوزارة.**

**65) السنور: الهر. كثيرون من أهل بغداد كانوا يفضلون الشرب من ماء الفرات لأنه أعذب من ماء دجلة، مع ان بغداد مبنية على نهر دجلة مباشرة. البيات: ترك الماء في الآنية مدة الليل حتى يترسب ما فيه من عكر. السقاء: الذي ينقل الماء.**

**66) المنديل: المنشفة. جرجان و أرجان مقاطعتان في فارس، اشارة إلى جودة نسجه و جنسه. و السراويل مفرد سروال و شروال: ثوب للقسم الأدنى من البدن.**

**67) الظراف: جمع ظريف. عرب العامة: البدو. القصاع جمع قصعة: وعاء يسكب فيه الطعام. المصاع: (الجدال، الكلام) .**

**68) على المكان: حالا. البنان جمع بنانة: رأس الاصبع. عجمه: عضه ليعرف قساوته.**

**69) متنه: ظهره، كناية عن أن ظهره عريض و مع ذلك فهو من قطعة واحدة**

**70) الرحى: الطاحون. اجانة: وعاء كبير يعجن فيه. التنور: حفرة اسطوانية الشكل يخبز العجين فيها أو على أطرافها. سجر التنور: أشعل فيه النار.**

**71) التلميذ هنا صبي الفران. و لا يزال معلم الفرن يدعى في بغداد إلى الآن أستاذ. السكرجات: الصحاف و الاطباق التي يسكب فيها الطعام.**

**72) الرطب: التمر. صهرج الحفرة: طلى أسفلها و جدرانها بالطين و الكِلْس الخ. المعصرة في الأصل بكسر الميم. و الصواب فتحها على انها اسم مكان لا اسم آلة، فإن الذي صهرج هو مكان العصر لا آلة العصر. الحب: الجرة الضخمة لها عروتان. قير الحب: طلي خارجه بالقار (الزفت) . الدن: وعاء طويل له عسعس (بضم العينين) أي ان أسفله مخروطي الشكل لا يثبت على الأرض و لذلك يجعلون له أداة من خشب يضعونه عليها.**

**73) البقل: النبت، الخضرة كاللوبياء و السلق الخ. المبقلة: المكان المعد لخزن أنواع البقل. رصف: وضع بعضه إلى جانب بعض، أو فوق بعض.**

**74) الابزار: أنواع من البزر تضاف إلى الطعام المطبوخ كالصنوبر و الجوز و الكزبرة. . . الخ. المرق: ماء اللحم المغلي. عقد: خثر، أصبح غليظا سميكا بفعل الغلي. خطب يطم: أمر يتعاظم و يتفاقم، مصيبة كبيرة**

**75) يزرى بربيعي الأمير: يظهر ربيعي الأمير بجانبه حقيرا صغيرا. الربيعي و الخريفي: مسكن للربيع و مسكن للخريف.**

**76) جصص الجدار: طلاه بالجص (بالكلس) .**

**77) يزل عن حائطه الذر: يزلق عنه النمل الصغير (لملاسته) . غير انه (كذا بالأصل) فسرها الشارح: الغيران جمع غار أصله الاخدود بين اللحيين من الفم استعمله في الفواصل بين الواح الباب. . . من خليطي ساج و عاج: أي من خشب هندي (اسود) مطعم (بتشديد العين) بالعاج (الابيض) . مزدوجين أحسن ازدواج: منسقين تنسيقا جميلا.**

**78) اركض.**

**79) رأسه.**

**80) أخذتني النعال، أي أن الناس ضربوني بالنعال و صفعوني كثيرا. . .**

**81) في الأصل: همذان (بفتح الميم و الذال المعجمة) و الصواب: همدان (بسكون الميم و بالدال المهملة) و هذا اقتباس من قول عمرو بن براق الهمداني: و كنت إذا قوم غزوني غزوتهم؛ فهم أنا في ذا-يا لهمدان-ظالم؟**

* **الحواشي المدوّنة أعلاه، الشارحة للمفردات، منسوخة من كتاب (تأريخ الأدب العربي)، لعمر فرّوخ، من هنا**

[**https://almerja.com/reading.php?i=2&ida=575&id=556&idm=30883**](https://almerja.com/reading.php?i=2&ida=575&id=556&idm=30883)